

الديمقراطية والنظرية التواصلية يورغن هابرماس انموذجا

شريقي انيسة

تعتبر النظرية التواصلية عند هابرماس هي بمثابة الحدث الأكبر الذي وقع في وسط العلوم الاجتماعية ويذهب في هذا إلى فلسفة اللغة بغية توسيع أساس النظرية النقدية وقد اشتهر هابرماس بـ " نظرية الفعل التواصلية " والتي نشرها سنة 1981 ويمكن تصنيفها ضمن علم الاجتماع السياسي حيث أنه حاول في هذه النظرية تطبيق الفعل التواصلية في ميداني السياسة والقانون ودافع عن الديمقراطية الحرة والتي تكون فيها المؤسسات والقوانين الحكومية مفتوحة للجماهير لمناقشتها.

ومن هنا خطأ خطوة واسعة في النظرية النقدية لم يصل إليها الرعيل الأول لمدرسة فرانكفورت رغم المكانة التي كانت عندهم إلا أن هابرماس هو الوحيد الذي فرض نفسه على المشهد الثقافي والسياسي في ألمانيا وقد اعتبر هو الوريث الشرعي للمدرسة النقدية¹.

المبحث الأول: مفهوم النظرية التواصلية :

إن المطلع على حياة هابرماس الفكرية يجد أنها تنقسم إلى مرحلتين أساسيتين المرحلة الأولى تميزت بالطابع التحليلي الإستمولوجي وتمثلت في أعماله " التقنية والعلم كإيديولوجيا " و " الرأي العام " كما نجد كتابه " المعرفة والمصلحة " الذي يعد من أهم كتبه وفي هذه المرحلة تبنى فيها منهجا نقديا متأثرا بفلسفة كانط وماركس وحاول في هذا الكتاب أن يعيد بناء تسلسل جينالوجي للعلوم الطبيعية والإنسانية الحديثة وذلك بالرجوع إلى الظروف الاجتماعية والتاريخية والمعرفية التي نشأت في ظلها، وقد كشف هذا العمل في رأيه تزايد التخصص في مجالات المعرفة التكوينية المختلفة بحيث بلغت

¹ إيان كريب، النظرية الاجتماعية من بارسونز إلى هابرماس، ترجمة محمد حسين علوم، منشورات عالم المعرفة الكويت، بدون طبعة، 1999، ص: 305 .

مرحلة تعذر فيها الحوار النقدي بين هذه المجالات، ونتج عن ذلك وقوع التفكير لا سيما في الفلسفة والعلوم الإنسانية تحت تأثير أشكال مختلفة من التفكير الذاتي أو حتى غير العقلاني¹.

وهنا وجد خلطاً في المجالات والمستويات المعرفية التي انتهت إلى النظر فيها حيث نجد نوعاً من التحرر في فكره بعد أسر فلسفة التأمل الذاتي التي طغت على تفكيره أما المرحلة الثانية فقد اتسمت بتحول آخر حدث في فكره بدءاً من كتابه نطق العلوم الاجتماعية، ومن هنا كان التأسيس لفكر جديد تمثل في نظرية الفعل التواصلية بجزأيه "الوعي الأخلاقي والفعل التواصلية" ومن هاته الأعمال توج مشروعه الفلسفي بالنظرية التواصلية.

ونجد انطلاقته من مفكر يهتم بالموضوعات والأشياء إلى مفكر يهتم بقضايا التفاهم والتواصل بين الذات ومن هدم فلسفات الوعي المتمركزة حول العقل إلى نظرية تقوم على الفعل التواصلية بالذات من خلال النموذج اللغوي بنى نظرية الفعل التواصلية وكان هذا بمثابة منطلق جديد للعلوم الاجتماعية، نطق يعتمد في أساسه على فلسفة اللغة إذ اعتبرها نقطة الفصل بين الأطروحات التقليدية في العلوم الاجتماعية المتعلقة بالوعي والذات والفعل والممارسة، وكان هدفه أن يتجاوز فلسفات الوعي العقلانية والتجريبية إلى فلسفة التفاهم عن طريق اللغة.

وهذا أن النموذجين العقلاني والتجريبي لم ينجحا في الوصول إلى نظرية واضحة وشاملة تخلو من النقائص، وفي رأيه الملجأ الوحيد في التواصل إذ يقول ما أنك نموذج فلسفة الوعي ولئن كان الأمر كذلك فإنه لا بد أن تحتفي أعراض الإنهاك فعلاً بالانتقال إلى نموذج التفاهم².

¹ عطيات أبو سعود، الحصاد الفلسفي للقرن العشرين، ص: 92.

² يورغن هابرماس، القول الفلسفي للحداثة، ترجمة فاطمة الجيوشي، منشورات وزارة الثقافة دمشق بدون طبعة، 1995، ص: 454.

واعتبر هابرماس أنه من الضرورة تحويل علم الاجتماع إلى فرع من فروع التواصل ويجب أن يقوم على الفعل التواصل، إذ يجب أن يتغير من دراسة الوقائع والأحداث الاجتماعية إلى دراسة العلاقات التواصلية بين الأفراد، فالتواصل حسب هابرماس هو التفاعل الرمزي الذي يتحقق بين شخصين فاعلين على الأقل ويكون مستندا إلى معايير التداول¹. ويرى أنه يجب أن ينصب جل اهتمامه على العلاقات التواصلية بين الأفراد باعتبارهم ينشئون علاقات تواصلية بين ذاتية قوامها اللغة، إذ اعتبرها هي الطريق الأساسي للبعد التواصل ولهذا رفض الفلسفة المثالية والتجريبية لأنهما حسب رأيه لم يقدمتا إلا نماذج من التواصل المشوه وديالكتيك هيغل الذي أتى به وهو العلاقة الأخلاقية التي حاول تطويرها تحت ما يسمى من أجل الاعتراف يعيد تكوين القمع والعنف، إنه تواصل مشوه من خلال العنف عنفا عمليا دياكتيكيا ليس التفاعل اللاقشري بين الذات وإنما تاريخ قمع وإعادة إنتاجه².

ويؤكد تشويه العلاقة الحوارية الموجودة في عليا الرموز المنشطرة والمموضعة وهذا يعني في مجال التواصل محروم من علاقات منطقية وفعالة في الوقت ذاته أي أن هيغل الذي كان جزءا من التيار المثالي بكامله يطرح شكلا ثنائيا من التواصل، أي الذي يقيم شرحا بين الذات والعالم باعتباره يعيد عالم الأشياء إلى الذات ولا يمنح الآخر أية قيمة فهيجل بشرح علاقة تعرف الذات في الآخر التي يحاول الربط فيها مفهوم الأنا بوصفه هوية العالم وليس مباشرة عن علاقات التفاعل بين الذات³، فيحاول هيغل أن يقول لا ترى الآخر بما هو آخر، بل بما هو ذات منعكسة في الآخر فالأنا عند هيغل كما يؤكد هابرماس هي كل شيء والعالم ليس شيئا بما أنه ذائب في الأنا، فالأنا عند هيغل متصورة بوصفها الوحدة الخالصة العائدة إلى ذاتها بوصفها أنا أفكر التي يجب أن تواكب

¹ Jürgen Habermas La Technique Et La Science Comme Ideologie. Gallimard. Paris. 1973 /P:22

² يورغن هابرماس، العلم والتقنية كإيديولوجيا، ترجمة حسن صقر، منشورات الجمل، ألمانيا، ط1 2003، ص: 14

³ المصدر نفسه، ص: 10.

تصوراته والآخر في إطار التفاعلات الذاتية للروح بحيث لا نتواصل الأنا مع ذاتها بوصفها آخر¹ .

أما التيار التجريبي الذي رفضه هابرماس فهو يسعى في نظره إلى نزع اللبسة التظاهرية للعقل في طرحه الأداتي الغائي، فمن قلب هذا التيار نشأ ما يسمى بالإعتراب والتشيؤ الذي أفقد الإنسان قيمته الإنسانية ومقوماته الأخلاقية ومن خلاله استبعدت القيم الإنسانية .

فكان هدف هابرماس خلع العلاموية عن العلم وأن يخضعه لنوع خاص من المعايير الاجتماعية والأخلاقية .

وبهذا كله ذهب إلى أن فحص اللغة والكلام لن يقتصر فقط على دراسة الجمل من الناحية الصوتية والتركيبية أو الدلالية بل يجب أن تنتقل إلى مستوى آخر ويعني بهذا تداوله الأفعال والخطاب، وبهذا ينتقل من دراسة الكفاية للغة إلى الدراسة التواصلية، وبهذا فإن هابرماس حاول تطوير الكفاية اللغوية إلى مفهوم الكفاية التواصلية² يرجع هابرماس نظريته التواصلية إلى فلسفة اللغة بشكل عام ونجد انه استمد بعض عناصر النظرية التواصلية من نظرية أفعال الكلام بوجه خاص ومن علم اللغة³ .

إن مفهوم الفعل التواصلية يفترض اللغة بوصفها الوسط الذي يمكن أن يتحقق منه نوع من التفاهم، ومن خلاله يستطيع المشاركون في التعامل مزاعم الصدق التي يمكن الاتفاق عليها إلى الاختلاف حولها⁴، وعليه ومن هذا نجد هابرماس أسس نظريته التواصلية على نتائج نظرية أفعال الكلام والألسنة والتداول وأعطاه تفسيرات اجتماعية وسياسية وقانونية، وانطلق من اللغة بوصفها وسيلة وسلوكا إتصاليا وظيفها في نظريته في الفعل التواصلية التي تنهض على الحوار والتفاهم بين المتحاورين في المجتمع غايته (الفعل التواصلية) في نظر هابرماس خلق تفاهم في إطار اجتماعي بين ذاتين فأكثر والسند في

¹ المصدر السابق نفسه، ص: 13 .

² حسن مصدق، يورغن هابرماس مدرسة فرانكفورت، ص: 127 .

³ عطيات أبو سعود، الحصاد الفلسفي في القرن العشرين، ص: 105 .

⁴ المرجع نفسه ، ص: 105 .

فعل التواصل هذا هو معايير المشروعية والتفاهم كما يحددها العقل فهو سعى في سياق ذلك إلى الكشف عن العقل العملي الذي يفرض علينا ما نعمله وما نتكله من خلال الإعراف بالتفاهم والحوار.

وفي ظل شروط الاختلاف الاجتماعي والثقافي ويصبح التواصل هنا بهذا المعنى حسب هابرماس هو التبادل اللغوي والبرهاني الذي يتحقق في المجال العمومي وذلك بالإحتكام إلى ضوابط أخلاقية ومنطقية تضبط منهجه وغاياته، وهذا التواصل كله الذي يعنيه هابرماس يحصل إلا إذا كان مستقلا بذاته أي وجب عليه الإستغناء عن الإستنادات الخارجية التي يمكن أن تكون المؤثرة عليه، وبهذا نجد اللغة في حد ذاتها تلعب دورا بارزا ومهما في نظرية هابرماس باعتبارها الرابط الأساسي بين الذوات ودليله في ذلك هو أن قدرتنا على التواصل ذات بنية وقواعد أساسية لا توجد إلا في اللغة التي نتعلمها وتحدث بها كل الذوات، فالتجربة التواصلية ليست هي القدرة على إنتاج جمل لها قواعد أو دلالات .

كما أن اللغة ليست مجرد نسق بين الرموز والإشارات تركيبة نحوية معجمية وصوتية، بل النظر إلى اللغة على أنها أفعال أو إجراءات، فاللغة بالنسبة له تشكل نسقا من القواعد تساعد على توليد تعبيرات بدرجة أن كل تعبير مصاغ بشكل صحيح يعتبر عنصرا من هذه اللغة¹، ومن ثمة فالذوات القادرة على استعمال هذه التعبيرات تشارك في عمليات التواصل لأنها تستطيع التعبير وفهم العمل والجواب عليها، واللغة لا تتشكل إلا من خلال التفاعل بين الذوات فهي ليست معطاة بل إجراء ونشاط بين ذوات عارفة من خلال النشاط اللغوي الذي يحدث في وسط المجتمع والتواصل الذي يجري بين الذوات عن طريق المقاصد والرغبات والمشاعر يقوم كيان اللغة، ومن هذا تتجلى علاقة نظرية أفعال الكلام بنظرية الفعل التواصلية والهدف من هذا التفاهم بين الذوات كما يؤكد هابرماس هو الوصول إلى نوع من الإتفاق بين الذوات يؤدي في الأخير إلى تقارب وجهات النظر وإلى تفاعل إيجابي بين المتحاورين، إن التفاهم هو العملية التي

¹ أبو النور حمدي أبو النور حسن، يورغن هابرماس، الأخلاق والتواصل ، ص: 152 .

من خلالها يتحقق اتفاق معين على أساس مفترض لإدعاءات الصلاحية المعترف بها باتفاق مشترك¹

فالفهم والتواصل في الحياة البشرية تعترضه ثغرات وعراقيل دلالية متعددة فكثيرا ما نجد انخلاف وعدم الفهم في المحادثات والمناقشات اليومية وهذا يرجع إلى ألعاب اللغة فإمكانية التخلص من حالة عدم التفهم أو عدم الإتفاق تفترض كما يرى هابرماس وهو أساس للمعنى يكون متفق عليه بشكل عام الإجماع².

وخلاصة مشروع هابرماس التواصلي في نظره وهو الكشف عن وسيلة بموجبها تقوم البنى الاجتماعية بتشويه عملية التواصل وتثير فيها نوع من الجدل والبلبله، إذ أن سوء الفهم بين البشر ممكن ويمكن خداعهم وتضليلهم بشكل منتظم فهو يرى عندما يتحدث عن الفعل التواصلي بين الأفراد في الوسط العمومي يؤكد على النشاط التواصلي الذي يقوم على أساس الحوار بين ذاتين فاعلين أو ذوات فاعلة مختلفة، وهذا النشاط التواصلي تحكمه ضوابط بالنسبة لهابرماس:

- يتم من خلال علاقة تفاعل بين فردين أو أكثر خلال سياق العالم المعيش، فمن حق كل فرد له القدرة على الكلام أن يشارك في الفعل التواصلي .
- يتم هذا النشاط التواصلي عن طريق اللغة باعتبارها الأساس الذي يكون هذا النشاط .
- من خلال النشاط التواصلي الذي يقوم به أفراد المجتمع نصل إلى نقطة مهمة وهي ديمقراطية الحوار والمناقشة .
- إذا كان هو نشاط تواصلي فأکید سوف يكون هناك وجود من اتفاق بين الأفراد.

¹ أبو النور حمدي أبو النور حسن، يورغن هابرماس الأخلاق والتواصل، المرجع السابق، ص:153.

² المرجع نفسه، ص: 155 .

- بواسطة الفعل التواصلي الذي يقوم به الأفراد في وسط هذا المجتمع المعيش
نصل إلى التحرر من كل أشكال القهر الخارجي والعنصرية، وبالتالي يكون لكل
فرد من الأفراد الدفاع عن رأيه والتعبير عنه بدون سيطرة سلطة ما أو فرد على
آخر

1- مراحل النظرية التواصلية:

المرحلة الأولى:

إنه يدعو إلى ضرورة التحرر من فلسفة الوعي التي يعني بها الفلسفة التي ترى
العلاقة بين اللغة والفعل كعلاقة بين الذات والموضوع، بينما يؤكد هابرماس أن العلاقة
في الفعل التواصلي تكون بين ذات وذات¹.

وحسب رأيه العالم على هذا النحو سيجعلنا أسرى للعقل الأداتي وللنزعة التشاؤمية

المرحلة الثانية:

ضرورة أن يتخذ الفعل صورتين، الفعل الإستراتيجي وفعل التواصل، الأول
يتضمن الفعل الغائي العقلاني يقوم الفاعل باختيار مجموعة من الوسائل والأدوات التي
تحقق له النجاح قصد تحقيق غاية معينة²، ويتحول نموذج الفعل الغائي إلى نموذج الفعل
الإستراتيجي عندما يأخذ الفاعل في حسابه قرارات فاعلين آخرين أو على الأقل فاعل
واحد في تقييمه للنجاح، وهذا النموذج يأخذ معنى نفعياً لأن العلاقات بين الأشخاص
تنظم من خلال عمليات التبادل الخاصة بالسوق والسلطة وهذا النموذج من الفعل يفسر
النظام الأداتي لأن الفاعل يشارك الآخر كوسيلة لتحقيق النجاح الذي يهدف إليه.

في حين أن فعل التواصل هو ذلك الفعل الذي يرمي للوصول إلى الفهم وفعل
التواصل هو فعل لا أداتي بمعنى آخر أن أي تفاهم يتم التوصل إليه عن طريق التواصل
له أساس عقلاني، ذلك أن التفاهم لا يمكن فرضه فرضاً من قبل أي من الطرفين
أداتياً كان الفرد عن طريق التدخل في الموقف تدخلاً مباشراً أم إستراتيجياً عن طريق

¹ عطيات أبو سعود، الحصاد الفلسفي في القرن العشرين، المرجع السابق، ص: 106.

² يورغن هابرماس، العلاقة بالعالم ومظاهر عقلانية الفعل، سوريا 2004 . ص: 23.

تأثير الخضم ويتعلق أصلا مفهوم الفعل التواصلي بالتفاعل بين شخصين على الأقل قادرين على الكلام والفعل يرتبطان بعلاقة شخصية يسعى الفاعلون وراء تفاهم حول موقف علي لكي ينسقوا بصورة توافقية خطط عملهم وبالتالي أفعالهم¹

المرحلة الثالثة:

يترتب عنها ضرورة إعطاء فعل التواصل الأولوية مما يترتب عنه أمورا ثلاث:
أولا: العقلانية بهذا المعنى تستلزم نسقا إجتماعيا ديمقراطيا يشمل الجميع ولا يستبعد أحدا وهدفه ليس الهيمنة بل الوصول إلى التفاهم.

ثانيا: ثمة نظام أخلاقي ضمني يحاول هابرماس الكشف عنه وهو الأخلاق الكلية، وكثيرا ما يشار إلى هذا النظام الأخلاقي بالأخلاق الإجرائية الذي لا يتوجه إلى تحليل مضمون المعايير بقدر توجهه إلى طريقة التوصل إليها، ويتم التوصل إلى تلك المعايير عبر نقاش حر عقلائي تبحث فيه نتائج كل معيار من تلك المعايير الأخلاقية انطلاقا من خاصية الكلية، أي هل يلقي القبول والرضا عن طريق الإقناع العقلي وليس عن طريق القوة والتعسر².

ثالثا: هناك فكرة وجود مجتمع ديمقراطي بحق يكون فيه للجميع فرص متكافئة للوصول إلى أدوات العقل كما المساهمة في الحوار على أن يكون لكل فرد فيه صوت مسموع يحسب حسابه عند اتخاذ القرار النهائي³.

يمكن القول أن الجهد النقدي عند هابرماس قد انتظم في تفكيك العقل الأداتي والأخذ بالمفهوم الإجرائي للعقل باعتباره ملكة تحليل وتفكير مباشر وفق منهجية فلسفية إجتماعية تتناول نقد منظومة القيم والعلاقات التي أنتجها العقل المتمركز على الذات والكشف عن تناقضات العقل الأداتي الذي حول فعل العقل إلى فعل هيمنة

¹ المصدر نفسه، ص: 23 .

² عطيات أبو سعود، الحصاد الفلسفي في القرن العشرين، المرجع السابق، ص: 106 .

³ المرجع نفسه ، ص: 107 .

وسيطرة على الإنسان، وبهذا لم يجد هابرماس المخرج إلا عن طريق النظرية التواصلية على أن تفهم التواصلية خارج كل ذاكرتها الإصطلاحية وتاريخها المفهومي¹، حيث ترمي إلى بناء مختلف للذات عبر عقل تواصلي يتجاوز الذات الضيقة وبشكل نسيجي من الذوات المتواصلة .

2- تجليات النظريات التواصلية:

تجلت النظرية التواصلية عند هابرماس في العديد من المجالات ظهرت فيها آراؤه خاصة السياسية عامة والمتعلقة بالديمقراطية بصفة خاصة ميدان المجال العام لم يكن جزءا من المجتمع المدني فقط بل هو وسيط بين هذا المجتمع المدني والدولة، كذلك نجد مجالا آخر تجلت فيه النظرية التواصلية وهو أخلاقيات الحوار أو المناقشة التي دعا إليها هابرماس في الكثيرين من أعماله .

2-1 الفضاء العمومي : ESPACE PUBLIC

من المفاهيم الملازمة للعقلانية التواصلية وهو المفهوم الذي انشغل به هابرماس طيلة كتاباته إلى حد أنه خصص له عملا مستقلا بذاته " التغيرات الهيكلية للمجال العام 1962"، يعتبر هذا المفهوم من صنع الفيلسوف الألماني إمانويل كانط² وهو مفتاح الممارسة الديمقراطية في نظر هابرماس الذي عموما استخدمه منذ السبعينات من القرن الماضي وهو يعرفه كدائرة التوسط بين المجتمع المدني والدولة، فهو الفضاء المفتوح الذي يجتمع فيه الأفراد لصوغ رأي عام والتحول بفضلهم إلى مواطنين تجمعهم آراء وقيم وغايات واحدة³ .

فالفضاء العام عنده هو الخير العام الذي يمثل المصلحة العامة والمشاركة للمواطنين وبهذا فإنه يجمع ما بين العقلنة السياسية والمشروعية الديمقراطية⁴، فنظرية التواصل تجسد

¹ رمضان بسيوطي محمد، علم الجمال لدى مدرسة فرانكفورت، المركز الأعلى للثقافة، القاهرة 1993، ص: 90 .

² حسن مصدق، يورغن هابرماس ومدرسة فرانكفورت، ص: 06 .

³ المرجع نفسه، ص: 07.

⁴ علاء الطاهر، مدرسة فرانكفورت من هوركهايمر إلى هابرماس، ص: 100 .

الديمقراطية المرتبطة بالنشاط التواصلي الذي هو عبارة عن حوار بين عقول المتحدثين هدفها إقامة علاقات تفاهمية حول قضايا تهم المجتمع تفرض نفسها في الحوار، فهذا الفضاء العمومي الذي يجسده هابرماس بين العقلانية والديمقراطية، ففي ظل هذا الفضاء يتواجد التواصل الاجتماعي ويتحقق الحوار بين المواطنين وتحقيق السلم وحرية الفرد، فالفضاء العمومي الذي تكلم عنه يختلف عن الفضاء البرلماني الذي هو جزء مهم من الدولة ويدين بالولاء للسلطة السياسية، بينما الفضاء العمومي فهو مختلف لأنه هو مجال نقى للمواطنين ويدين بالولاء للشعب، وهذا الفضاء متحرر من كل المجالات¹.

إذن تعد دراسة هابرماس للمجال العمومي نقداً محايداً للمجال العام وهو الذي ينتقد الموضوع انطلاقاً من النموذج الذي يجب أن يكون عليه هذا الموضوع، فهابرماس يكشف أن المثال الليبرالي والديمقراطي كانت له أسسه الواقعية التي قام عليها، إلا أن تطورات المجتمع الغربي منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر تناقضت مع هذا المثال، فأكد على أن الممارسة السياسية في المجتمعات الغربية تستند على نفس المبادئ التي وجدناها في المجال العام وتستمد منها شرعيتها ومصدر هذه الشرعية يرجع إلى حرية المواطنين في تشكيل إرادتهم السياسية واختيار حكومتهم والتأثير عليها، لكن واقع هذه المجتمعات تتناقض مع هذه المبادئ².

ويطرح هابرماس نظرية في الإيديولوجيا كحل لذلك يرى أنه إذا كان الإجماع يتحقق بمجرد مشاركة المواطنين في نقاش عقلاني حر فإن أي عوائق تمنع وتقيد هذا النقاش الحر تؤدي إلى أن يصبح التواصل مشوهاً³.

والتواصل المشوه هو الاسم الذي يطلقه هابرماس على الإيديولوجيا التي يفهمها على أنها التأثير القمعي الذي تمارسه السلطة على تواصل المواطنين لا تمنع الهيمنة

¹ أبو النور حمدي أبو النور حسن، يورغن هابرماس الأخلاق والتواصل، ص: 196.

² المرجع نفسه، ص: 196.

³ علاء الطاهر، مدرسة فرانكفورت من هورهايمر إلى هابرماس، ص: 105.

الممارسة على عملية التواصل من الوصول لفهم مشترك وإجماع، بل هي تزييف هذا الفهم وتشويه التواصل وتصنع من إجماعاً رائعاً لا تتوفر فيه الشرعية العقلانية¹، وهذا الأمر في نظر هابرماس هو الذي أدى إلى اضمحلال الفضاء العام في اعتقاده، وعليه عزل المجتمعات والجمهور عن عملية النقاش العام وعمليات اتخاذ القرار وهذا الأمر يؤدي إلى إبعادهم عن الأمور السياسية .

وهنا نجد هابرماس يقول " إن نزع الصفة السياسية ع الجمهور واضمحلال المجال العام باعتباره تنظيمًا سياسيًا يعد أحد مكونات نظام الهيمنة الذي ينزع إلى عزل المسائل العملية عن النقاش العام² " .

فالفضاء العام هو فضاء مهم للنقاش والحوار بين المواطنين وهو من جانب آخر بمثابة نقطة اتصال بين السلطة السياسية والشعب، وقد نجد هذا الفضاء منقذ للوضع باعتباره القناة الموصلة بين الشعب والسلطة، وهذا المجال هو الميدان التي تجتمع فيه الأفكار لتحقيق التغيير والخروج من المشاكل، وهذا الفضاء العمومي لا يكون إلا في دولة ديمقراطية .

ومن المبادئ الأساسية التي شكلت فكر هابرماس السياسي مبدأً أساسيًا ظهر في كتابه " المجال العام " هو مبدأ الدعاية³، والذي أسندت إليه الدول البرجوازية المعاصرة ومن هنا يذهب هابرماس إلى أن الفضاء العام والدعاية هي دراسة تسعى لفحص أساس وبنية النموذج الليبرالي البرجوازي .

فالنشاط التي تمارسه الهيمنة البرجوازية داخل النسق التاريخي الأوروبي مقترن على حد بعيد بفعالية واضحة في التفكير والتواصل المترابطين بدورهما بمنطق الإنتاج والتطور الصناعيين وصيرورة كل من القوى المنتجة والطابع التقني لوسائل الإنتاج لذا

¹ أبو النور حمدي أبو النور حسن، يورغن هابرماس، الأخلاق والتواصل، ص: 196 .

² المرجع نفسه، ص: 197 .

³ علاء الطاهر، مدرسة فرانكفورت من هوركهايمر إلى هابرماس، ص: 105 .

حاول هابرماس أن يظهر اغتراب الوعي الجماعي داخل منظومة الدعاية الغربية والتوفيقية الواضحة للفكر السياسي والمشروع للسلطة ولجأ أيضا إلى تحليل ظاهرة ارتباط الميدان العام بحركة الديمقراطية التحررية وصعودها، لكن الوصول إلى المرحلة الدستورية هو حصيلة تطور تاريخي صعب ومتقلب مرت به الطبقة البرجوازية¹.

كما اهتم هابرماس بدراسة قضية الفضاء العمومي وعلاقتها بالسلطة السياسية فقد قام بالتركيز على محاولات فلسفية أصيلة في هذا المجال، خاصة محاولة إمانويل كانط في كتابه " صراع الكليات " الذي تناول فيه الصراع الدائر بين كلية القانون وكلية الفلسفة وخصص فيه فصولا طويلة لمناقشة السياسة وشرعيتها أو عدم شرعيتها في التحكم والسيطرة على الذهن العامة، وقد قامت الفلسفة الكانطية بتطوير بعض المفاهيم الخاصة بالرأي العام، وتناول هابرماس أفكار كل من هيغل وماركس ومنظورهما الجدلي للدعاية والإعلام².

ذهب هابرماس بأن الفكر النقدي شرع في بحث موضوع "الفضاء العام من القرن التاسع عشر، حيث بدأت بعض النظريات النقدية بتنفيذ سيطرة الدولة والسلطة والسياسة وأخذ الفكر النقدي بتحليل السيطرة والهيمنة الرسمية سواء المرئية أو غير المرئية التي تخفى طريقا غير مباشر في تحقيق الغرض النهائي للسلطة، ففي هذه الفترة حدثت تغيرات جذرية في البنى الاجتماعية للفضاء العام وأخذت السلطة السياسية بكسب الفرد والعائلة إلى جانبها عبر تقديم الكثير من الإغراءات أو المساعدات على الصعيدين الاجتماعي والأسري، فالمساعدات المالية للمواطنين والضمان الاجتماعي كانت عوامل تكريس قوية لمشروعية السلطة قامت بجذب الفرد بشكل متدرج نحو مركزها وبالتالي تحقيق كلي للمحيط الاجتماعي العام³.

¹ أبو النور حمدي أبو النور حسن، يورغن هابرماس الأخلاق والتواصل، ص: 198 .

² علاء الطاهر، مدرسة فرانكفورت من هوركهايمر إلى هابرماس، ص: 104 .

³ المرجع نفسه، ص: 103 .

فقد اعتبر هابرماس الدعاية في كتابه " الفضاء العمومي " دراسة للدعاية والإعلام كوسيلة فعالة ومباشرة من وسائل الهيمنة : هيمنة الدولة ومؤسساتها البيروقراطية بحيث تسهم في تكوين رأي عام يوازن أهدافها على الدوام، ولا تسمح لهذا الرأي بأن يتعارض مع برامجها وشروعها العام من السيطرة وذلك عبر خلق محفزات مرنة لأجهزة هيمنتها على الوعي الجماعي وتنشيط هذه الأجهزة بشكل يوازي الحركية التاريخية لتطور الوعي الجماعي والمؤثرات التي تحيط بهذا الوعي تملك القدرة على تحقيق خروج جزئي أو كلي من الإستلاب العام¹.

وحاول هابرماس بشكل تاريخي رصد عملية الوعي الجماعي المتجسد كإيديولوجيا من المجتمعات الأوروبية ويقوم اتساع هيمنة المؤسسات في الفضاء العمومي متبعا تطورها التدريجي متوغلا في تاريخية الدعاية والإعلام وتطور أدوات السيطرة على الجمهور وبعث تحليلي حاد إلى درجة نشر معه بوعينا محكوما بدرجة من الهيمنة والقيود الذهنية والفوقية التي تنتفي فيها كامل إرادتنا وحريتنا ويجسد هذا الكتاب الواقع المعيش الذي تهيمن عليه وسائل الإعلام، إذن بالنسبة له هذا الواقع المزري داخل ما يسمى الدعاية الموجودة في المجتمع الأوروبي شكل ما يسمى بالإستلاب وتجلى هذا أثناء الصعود التدريجي والواضح للطبقة البرجوازية.

ففي نهاية القرن الثامن عشر في فرنسا اكتسبت الطبقة البرجوازية وعيا بنفسها وشرعت بتكوين استقلال خاص بها تجاه السلطة وذلك من عن طريق تأسيس قواعد ومبادئ لخلق حوار ومناقشات حرة عامة وعادلة ثم أخذت هذه الطبقة بممارسة فعل المناقشة وفق طريقة نقدية، وعندما انبثق مبدأ الحوار المفتوح بدأ المجال البرجوازي العام بالتمركز داخل الصالونات والمنتديات الثقافية العامة حتى عبر عن نفسه وتموضع في النهاية داخل صبغة الدولة الدستورية تحت ظل وغطاء الحوارات الانتخابية والبرلمانية².

¹ المرجع نفسه، ص: 105 .

² علاء الطاهر، نظرية هابرماس النقدية، مجلة الفكر العربي المعاصر، مجلة شهرية، مركز الإنماء القومي، بيروت، العدد: 41، 1986 ، ص: 51 .

فالهيمنة التي تمارسه هاته الطبقة مقترنة بفعالية فكرية مرتبطة بدورها بمنطقة الإنتاج والتطور الصناعي، هذا ما يؤدي إلى استلاب واغتراب للوعي الجماهيري .

2-2 أخلاقيات الحوار:

قد حاول هابرماس في عرضه من نظرية الفعل التواصلي أن يصوغ نظريته للأخلاق وحاول عرض وعيه الأخلاقي والفلسفة الأخلاقية وكان هذا هو غرضه الأساسي في مسألة الفعل التواصلي هو تحرير الفكر وربط الفعل بالأخلاق وأصبحت الأخلاق التواصلية من المحاور الأساسية في فلسفته وفي هذه المحاولة يهدف إلى إقامة إطار نظري نقدي لتكوين الإرادة الحرة العاقلة في هذا الفعل الأخلاقي التواصلي¹ .

قام هابرماس بوصف نظريته الأخلاقية في العديد من الأعمال والمؤلفات الهامة ومنها "نظرية الفعل التواصلي" - "الأخلاق والتواصل"، "أخلاق المناقشة" حيث أراد هابرماس أن يؤكد أن أي فرد لديه القدرة على المناقشة وبطريقة كلية ومباشرة، وهذا النقاش يتبع معايير أخلاقية معينة يضعها ويؤسسها الوعي الأخلاقي أو بالأحرى الأخلاق النظرية .

وفي هاته المحاولة يهدف هابرماس إلى إقامة إطار نظري نقدي لتكوين الإرادة الحرة العاقلة في هذا الفعل الأخلاقي التواصلي هناك دور مهم جدا للغة والتواصل عبر اللغة في الحياة الاجتماعية والسياسية، وفي هذا تمكن هابرماس من إعادة بناء نظرية أخلاقية التواصل عبر اللغة، فاللغة هي الوسط الذي من خلاله يتفاهم المجتمع وهدفهم هو التواصل فقد أكد على أن اللغة تحيل إلى الإتفاق والقبول والتواصل والإختيار المستنير لجملة أفراد يتحاورون² .

وحاول هابرماس تأسيس الأخلاق وفق النقاط التالية :

¹ أبو النور حمدي أبو النور حسن، يورغن هابرماس الاخلاق والتواصل، ص: 244 .

² المرجع السابق ، ص: 251 .

1- إننا نتوصل إلى صيغة ضعيفة للتأسيس التداولي الترانسدنتالي للمبادئ الأساسية للأخلاق بمجرد إمساكنا بالشروط الضرورية لكل تواصل في العالم المعيش ومن ثمة الإمساك بالشروط للأخلاق .

2- إن تأسيسا نهائيا لمبادئ الأخلاق يتجاوز الصيغة الأولى ويعمل على التثبيت فكريا من افتراضات القول البرهاني بوصفه شكلا تفكيريا للتواصل في العالم المعيش، صار مستحيلا وغير مجد في نهاية الأمر تلك هي المحطة التي يخلص إليها هابرماس وهي تنتمي إلى مبادئ أخلاقية .

3- إن التأسيس النهائي للأخلاقي ينبغي أن يستبدل بالجوء إلى الأخلاقية التي كانت دائما منغرسه في بنية النشاط التواصلي التي بدونها سيختزل الفرد إلى مجرد تدمير ذاتي¹ .

ومن أجل فهم السبل الإتصلية لا بد أن يميز الباحثين بين نمطين من أنماط الفاعلية العقلية عند هابرماس.

أ- الفاعلية الأدواتية وهي الفاعلية المتجهة شطر النجاح وهي تبحث عنها بوسائل توأمتها وتلاؤمها .

ب- الفاعلية التواصلية وهي التي تخضع التفاهم المتبادل ففي الفاعلية الأدواتية نجد الفاعلين يركزون عنايتهم على نتائج عملهم فإما أن يؤثر في عالم الأشياء وإما أن يؤثر في الآخرين محاولين الإمساك بممارسة السلطة على مناقشة هؤلاء الآخرين فاعلية إستراتيجية وكلتا الفاعليتين تهدفان للنجاح وهما يؤلفان شيئا واحدا².

أما في الفاعلية التواصلية هي الفاعلية الوحيدة التي في إمكانها إعادة ربط الصلة بين أطراف هذا العالم متقطع الأوصال عالم فقد كل مرجعياته ونقاط ارتكازه³، وعندما يحدث التفاهم المتبادل بين الأشخاص ويحقق هذا التواصل بين الأطراف المشاركة،

¹ كارل أتو أبال ، التفكير مع هابرماس ضد هابرماس، ترجمة عمر مهيبل، المركز الثقافي العربي المغرب، ط1، 2005، ص: 37 .

² أبو النور حمدي أبو النور حسن، يورغن هابرماس، الأخلاق والتواصل، ص: 252 .

³ جون مارك فيري، فلسفة التواصل، ترجمة عمر مهيبل، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2006 ص: 20

وهنا يكمن مبدأ الأخلاق ومن التفاهم والتواصل والوصول إلى الإجماع حول مختلف القضايا ونجد أن المجتمع هو في حاجة إلى أخلاق تواصلية لأجل خلق شروط معيارية حول الحقيقة التي هي في حالة تحول دائم، وهذا يجد ذاته يشكل أساسا للمناقشة العامة التي تشكل الفعل التواصل، ومنه نجد هدف هابرماس في مسألة الفعل التواصل وتحرير الفكر وربط هذا الفعل بالأخلاق، ولذلك أصبحت الأخلاق التواصلية من المحاور الأساسية في فلسفته .

وفي هذا الفعل الأخلاقي التواصل هناك دور مهم تلعبه اللغة¹ في التواصل فحاول إعادة بناء الفعل التواصل عن طريق اللغة، فاللغة هي الوسط الذي من خلاله يتفاهم الذين يرغبون في التواصل، واعتبر أن لها ارتباطا بالفعل وهي الوسيلة الأساسية لما سماه بالأخلاق التواصلية²، والأخلاق التواصلية عنده تخلق من خلال التداول إطارا عقليا للتفاهم بين مختلف مجالات المعرفة، وللتفاوض بين المصالح المتعددة ولا تحتاج إلى أي مبدأ مسبق لأنها تستند أساسا على المعايير الأساسية للخطاب العقلاني الذي يتعين اقتراضه طالما أننا نتحرك داخل سياق للمناقشة وللتواصل .

وعندما يتكلم هابرماس عن أخلاقيات التواصل فهو يرى أن للتواصل معايير أخلاقية تبادل الأفكار والدعاءات الصلاحية من خلال المناقشة، فكل ما هو عقلي عنده قابل للمناقشة، لأن كل دلالة مقترحة من طرف شخص ما تشكل قضية معنى وكل قضية معنى يمكن مناقشتها في إطار مقولة الصلاحية، وإذا كان يتعين علينا أن نبرهن على كل صلاحية انطلاقا من كل الحجج الممكنة، فإن الدلالات والتحويلات نوع من الخطاب تصوغ فيه الأطراف المعنية إدعاءات للصلاحية تكون موضع خلاف وتحاول قبولها بواسطة البراهين وكل برهان يتضمن حجج مرتبطة بإدعاءات الصلاحية

¹ محمد الأشهب، الفلسفة والسياسة عند هابرماس، ص: 33 .

² أبو النور حمدي أبو النور حسن، يورغن هابرماس، الأخلاق والتواصل، ص: 258.

بتعبيرات الإشكالية فإن قوة البرهان تقاس بصحة الحجج وهذه الصحة تظهر من بين ما تظهر فيه من قدرة وتعبير معين على إقناع المشاركين في الحوار والمناقشة¹.

وقد وضع شروطا للنقاش وهي: الصدق (صدق القضايا)، المسؤولية (مسؤولية المتكلم)، الحقيقة (حقيقة أو صحة المعايير المقترحة)، فهذه الشروط هي بمثابة فرضيات وضع مثالي لجماعة تواصل غير محدودة تعتمد المناقشة العقلانية²، وعليه نجد تأكيد هابرماس على ضرورة إدخال الأخلاق في التواصل بين الناس، ذلك لأن النشاط التواصلي من زاوية التداويات الصورية يساعد على إدراك الظواهر الأخلاقية داخل العالم المعيش، والحوار بهذا المعنى ضمن الشروط السابقة الذكر يعد ضروريا لكونه مفيدا للحياة الإنسانية في مجالاتها المختلفة في البيت والأسرة والعمل وتفاعله مع الآخرين.

والحوار بهذا المعنى ضروري له مع الآخرين كما مع نفسه، حيث تتحسن وتنتمي هذه الحدسية التواصلية الموجودة والكامنة ضمنا وأصيلا في كل إنسان باتمائه اللغوي والثقافي، لكن يجب إخضاعها للعقلانية النقدية³.

المبحث الثاني: علاقة الديمقراطية بالمجتمع التواصلي:

في ظل تأكيد هابرماس على ضرورة تفعيل دور التواصل في تحديد تواصل وعقلنة المجتمع اشترط لهذا الأمر أنه يجب توفير فضاء عمومي وسياسي ديمقراطي يتضمن المناقشة والحوار واحترام آراء وأفكار الآخرين ومحاولة إحداث تفاهم بين كل شرائح المجتمع، ففي غياب الديمقراطية وسيادة العنف واللاعقلانية والعديد من العوائق الأخرى يستحيل التوصل إلى ما يسمى بمجتمع ديمقراطي.

1- الديمقراطية وأخلاقيات الحوار:

¹ المرجع نفسه، ص: 262.

² حسن مصدق، يورغن هابرماس ومدرسة فرانكفورت، ص: 174.

³ يورغن هابرماس، العلم والتقنية كإيديولوجيا، ترجمة حسن صقر، ص: 75.

فحسب ما ذهب إليه هابرماس أنه توجد علاقة وطيدة بين الديمقراطية والتواصل والمواطنة وبخصوص هذا يقول ألان تورين : يجب أن نقبل أنه لا وجود لديمقراطية بدون مواطنة ولا مواطنة بدون توافق، ليس فقط توافقاً حول المساطر والمؤسسات وإنما توافقاً حول المضامين أيضاً¹ .

فالتواصل الذي تكلم عنه هابرماس هو وجود تعايش وتواصل بين جميع أطراف المجتمع فالعقلانية التواصلية عنده تستلزم نسقاً اجتماعياً ديمقراطياً يشمل الجميع ولا يستبعد أحداً، وهدفه من هذا كله ليس السيطرة وإنما الوصول إلى تفاهم .

فهابرماس حاول إحداث نوع من التسوية بين أفراد المجتمع بغض النظر عن العلاقات الموجودة إلى درجة قوله أنه لا مواطنة بدون اتفاق²، واعتبر أن تسوية الخلافات الموجودة لا تشكل سوى دربا للوصول إلى الديمقراطية، فتسوية الخلافات لا تتم في شرعية القانون، وبهذا يكون الاتفاق وتفعيل المساواة بمبادئ أخلاقية في ظل ما يدعوه بالديمقراطية ويكون بشكل عقلائي لتحقيق التفاهم والمساواة في ظل فضاء عمومي .

فكما أشرنا من قبل أن هابرماس قد ربط بين الديمقراطية ونظرية أخلاقيات الحوار التي لا تنفصل في حد ذاتها عن التواصل أو الفعل التواصلية ويتفق المتحاورون على التنسيق بين برامج عملهم وذلك من خلال التفاعلات التي تتم بينهم والتي يؤكدونها الفعل التواصلية³ .

واعتبر هابرماس أن النموذج المرغوب فيه لدى المواطنين هو الذي يمكنهم من التعبير عن أفكارهم وانتماءاتهم الثقافية والعرفية ويمكنهم كذلك من التفاهم على اقتراحات مقبولة من الجميع، هذا النموذج لا يمكن له أن يتأسس إلا إذا ارتبط بالمناقشات العمومية⁴ .

¹ ألان تورين، نقد الحداثة، ترجمة أنور مغيث، ص: 389 .

² محمد الأشهب، الفلسفة والسياسة عند هابرماس، ص: 49 .

³ أبو النور حمدي أبو النور حسن، يورغن هابرماس، الأخلاق والتواصل، ص: 189 .

⁴ يورغن هابرماس، العلم والتقنية كإيديولوجيا، ترجمة حسن صقر ص: 78 .

فالديمقراطية عنده تجد شرطها في أخلاقيات الحوار أو التواصل، ويتجلى هذا الحوار بين عقول المتحدثين والذي يستهدف إقامة علاقات ودية وسليمة وبناء جسر التفاهم بين المتحاورين، ومن هذا نخلص إلى نوع من الحوار لأجل الوصول إلى الحقيقة والتعبير الصادق عن الذات، وهنا فإن التواصل سيؤدي إلى إقامة علاقة وثيقة ما بين الدولة أو نظام الحكم وما بين الأفراد وبالتالي نصل إلى إرساء قيم المساواة بين المواطنين في المجتمع ونظام الحكم .

فنظرية الحوار تربط الديمقراطية بمفاهيم معيارية، هذه المفاهيم أكثر قوة من ذلك النموذج الليبرالي، فهذا النموذج تقوم نظريته على سلطة الدولة المنبثقة من الشعب ولا تستطيع أن تمارس سلطتها إلا في ظل دولة القانون التي تقوم على الانتخابات أو الإستفتاء كما أكد ماكس فيبر في كتابه " العالم والسياسة " ¹ .

وهذا خلاف النظام الجمهوري الذي يوضح أن الشعب له وجود محتمل وعلة ذلك "أن تكوين الإرادة الديمقراطية صمن التفاهم الأخلاقي السياسي الذي يتضمن الهوية الجماعية داخل المجموعة البشرية" ² .

هذه الإنتقادات التي وجهها هابرماس للديمقراطية الليبرالية والجمهورية ودفعت به إلى أن يتصور الحل في استخدام نظرية الحوار فحسب رأيه أنها تأخذ من النموذجين السابقين (البرالي والجمهوري)، وتحاول التركيب بينهما لتكوين ما سماه بالديمقراطية التشاورية .

ونجد أن هابرماس يؤكد على نظرية المناقشة فهي تمكننا من تحديد الإجراءات وشروط التواصل التي تساهم في التكوين السياسي للرأي ولها وظيفة أساسية وهي الربط بين السلطة والفضاء العمومي .

1-2 شروط التواصل لتحقيق الديمقراطية عند هابرماس:

¹ أبو النور حمدي أبو النور حسن، يورغن هابرماس، الأخلاق والتواصل، ص: 189 .

² يورغن هابرماس، التقنية والعلم كإيديولوجيا، ترجمة حسن صقر، ص: 79 .

- العقلانية : وهي شرعية بسيطة تعمل على تكوين السلطة .
- السلطة: توجد بداخل الإدارة وتعبّر عن طبيعتها لإرتباطها بالتكوين الديمقراطي للرأي وعملها لا يتوقف عن المراقبة .
- الرأي العام: فبفضل الإجراءات العمومية يتحول الرأي العام إلى سلطة تواصلية قادرة على توجيه استعمال السلطة العمومية، فهي تعني مشاركة في توجيه وليس الهيمنة¹ .

ويذهب هابرماس في توضيحه للممارسة الديمقراطية باعتمادها على أخلاقيات المناقشة والعلاقة التواصلية تقييمية تجريبية لأنها تعتمد على قيم أخلاقية ثابتة يمكن الإتفاق عليها وهي تجريبية لأنها مستمدة من تجارب يومية تعبر عن الواقع المعيش من خلال هذا الجانب لا يختلف هابرماس عن تقاليد فلاسفة الأنوار عندما ينتقل من الخاص إلى العام².

فهنا هابرماس يريد تأسيس ديمقراطية على أساس جماعة مثالية للتواصل خالية من أية هيمنة أو سيطرة ما، ففهوم الحوار هو المفهوم المركزي في نظريته للديمقراطية المؤسسة على المناقشة لأنه في التشاور يعطي للآخرين الحق في الكلام والنقد والدفاع عن آرائهم وتقديم اقتراحات جديدة في الفضاء العمومي، وفي ظل هذه السيورة الخطابية المؤسسة على المناقشة يتشكل الرأي العام والإرادة السياسية للمواطنين في المجتمع الديمقراطي³ .

وهنا نصل إلى الهدف الأسمى للديمقراطية التي قال بها هابرماس " الديمقراطية التشاورية أو التداولية ليس الدفاع عن المصالح الشخصية لأعضاء الجماعة (العقد الإجتماعي لروسو) وإنما هو الدفاع عن المصالح العامة⁴ " .

¹ مالفني عبد القادر، مفهوم الديمقراطية عند هابرماس، ص: 344 .

² مالفني عبد القادر، مفهوم الديمقراطية عند هابرماس، ص: 344 .

³ محمد الأشهب، الفلسفة والسياسة عند هابرماس، ص: 195 .

⁴ المرجع نفسه، ص: 195 .

معتمدا في ذلك على وسيلة المناقشة، ومن هاته الأهمية التي تحتويها الديمقراطية بالنسبة لهايرماس، رأى انه الأداة المثلى حاليا لحل الإشكالات المطروحة بالنسبة للفرد والمجتمع، خاصة بعد انهيار المعسكر الشرقي وظهور مجتمع العولمة، وهذا ما جعله لا يحتزل الديمقراطية في فلسفته في حدود الدولة الوطنية، وإنما تعدى ذلك ما أسماه بما بعد الوطنية .

والديمقراطية التشاورية التي حددها هايرماس فهي ترسي حق المجتمع المدني بكافة مستوياته وتشكيلاته في تأسيس فضاء عام للتداول يقدم فيه الأفراد وجهات نظرهم والحلول التي تمكنهم من الأنظمة الشمولية المستبدة بعد عجزها عن تحقيق دولة ديمقراطية في إطار مساواة بين مواطنيها .

في حين تتيح الديمقراطية للأفراد حق تدخلهم في محيطهم وإسماع صوتهم وتوسيع مجال الحرية والمساواة والمحاسبة، وهنا يكمن دور فلسفة التواصل النقدي في نقد الديمقراطية التمثيلية وفي محاولة تحرير مجال التواصل الإنساني من قبضة العقل الأداتي والتشيؤ والإعتراب¹.

ومن خلال ما ذهب إليه هايرماس إلى اعتبار الديمقراطية التداولية أساسها المعياري يكمن في أخلاقيات الحوار، فهو يذهب وبوضوح إلى القول عند اعتماد النقاش في الحوارات السياسية وجل أنماط الحوارات، فهذا يعني قلب المسار الديمقراطي نفسه² وعليه نخلص إلى أن هذا التصور يختلف في آن واحد عن التصور الليبرالي للدولة الذي هو التصور الإقتصادي لكان حارس التبادل الإجتماعي والحركية الإنتاجية وعن التصور الجمهوري الذي ينطلق من نظر الدولة بصفقتها مجموعة أخلاقية مندمجة عضويا، وأقر أن النموذج الأمثل والأصح هو الديمقراطية التشاورية .

¹ جون مارك فيري، فلسفة التواصل، ترجمة عمر مهيبل، ص: 18 .

² Habermas Droit Et Démocratie. Traduit Par Rochitz Et Christian. Bouchin. Gallimard. 1997. P:320.